حول ثورية التعريب

للأستاذ سعيد الديوه جي
(الموصل)

توصل مدير المجلة بالرسالة الآتية :

أستاذنا الجليل عبد العزيز بنعبد الله المحتـــرم

بعد تقديم الاحترام : قرات بحثكم القيم « ثورية التعريب » وهو من اجمل ما قرأته فى هذا الباب ، لما فيه من حجج دامغة ، صفعتم بها دعاة التفرقة ، وأذناب الاستعمار ، الذين تناسوا انفسهم ، وباعوا ضمائرهم ، وصاروا يواكبون كل داع الى التفرقة والانقسام ، لقاء دريهمات تلقى اليهم ، وخانوا امتهم ــ ان كانوا عربا ــ ولا أخال انهم يمتون الى العروبة بسبب . وبدا لي بعض الملاحظات خلال قرائتـي هذا البحث الطريف ، ارجو ان تسمحوا لي بتقديمها اليكم ولكم مني مزيد الاحترام .

اللغة العربية لغة اعراب ، فاللفظ الواحد تتغير حركته بالنسبة لموقعه من الكلام ، بخـلاف اللغـة التركية ، فهي لغة تكون الفاظها ساكنة الآخر مهما تبدل موقعها من الكلام ، فالتركي يكتب كما يلفـظ ، ولا يلتبس ما يكتبه على من يقراه .

واما اللغة العربية فانها ليست كذلك ، فاذا كتب بالحرف اللاتيني من كان جاهلا بقواعد اللغة العربية ، فانه يكتب كما يلفظ ، وقد يكون ما كتبه خطأ ، فيقرأ من كتب له خطأه من غير ان يشعر ، وعلى هـذا فان الامر يلتبس على القارىء ، ولربما فهم عكس ما أراد ان يعبر عنه الكاتب .

فاذا اردنا ــ مثلا ــ ان نبين « ضرب احمـد محمدا » وكتب من لم يحسن قواعد اللغة العربيـة ضرب أحمد محمد Daraba Ahmada Mohammado من غير ان يعلم سبب كتابته ، ومن يقرأ هذا يستفيد عكس ما أراد ان يبينه الكاتب ، ولا يخفى ما يحصـل بهذا من ارتباك وفهم سقيم وضياع حقوق فيصبـح الطالب مطلوبا . وعلى هذا فمن لم يعرف قواعد اللغة العربية فانه لا يتمكن ان يكتب ــ بالحرف اللاتيني ــ لغيره ما يريد أن يقرره ، فيوقع القارىء فى خطـأ وارتبـاك .

كما ان الكتابة بالحرف اللاتيني تكون أطول ممـا هي فى الحرف العربي ، لان كل حركة يعبر عنها بحرف فيتضاعف عدد الحروف فى الكلمة الواحدة ــ كما تبين لنا من الجملة السابقة ــ والامم تسعى فى هذه الايام الى اختزال الكتابة ، حفظا للوقت ، ودفعا لسآمـة القارىء . والمأجورون يدعون الى تشويه ما فى لغتنا من جمال الحروف ودقة واختصار .

وقد لاحظت بنفسي في عدة اجتماعات مع علماء من الاتراك ، ان الاتراك الذين كانوا يكتبون في الحرف العربي ، ثم حملوا على الكتابة بالحرف اللاتيني ، كانوا في كتابة الملاحظات وجمع المعلومات يكتبون بالحرف العربي ، وسألت بعضهم عن سبب كتابتهم بالحرف العربي في مثل هذه المناسبات ، فكان جوابهم : الاختصار ، وسألت بعض علمائهم عن سبب ترك الحرف العربي والعدول عنه بالحرف اللاتيني ، فكانوا يظهرون الاسف ويحجمون عن ذكر السبب .

ونحن نعلم ان الذي حمل مصطفى كمال على هذا التبديل : انه اراد ان يقطع الصلة بينهم وبين الماضي يوم كانوا يتولون الخلافة ، ولهم زعامة العالم الاسلامي، وحماة الحرمين الشريفين فأبعدهم عن حظيرة الاسلام وقطعهم عن ماضيهم ، وصبغهم بصبغة اوربية ، وكان له ما اراد ، انما فعل هذا لامر سياسي ، بأن ينشيء جيلا لا يعرف عن ماضيه شيئا الا ما يسطره له الموجهون بالحرف اللاتيني ، بعيدا عما في تراثه من علم وادب وفن ، لانها صارت بعيدة عن متناولهم . فاذا ما حدثت احدهم عما في خزائن كتبهم — التي هي مكتوبة بالحرف العربي — من علم وفن ومعرفة ، فانهم يظهرون استغرابا ودهشة واسفا ، لعدم معرفتهم مآثر اجدادهم ، كأنما حدثتهم عن امر كان مطمورا واستظهر بعد بحث عنه ، وهو كذلك عندهم .

على ان التراث التركي اكثره من العرب والفرس، ولا يقاس بالتراث العربي الزاخر ، في شتى العلوم والفنون والمعارف ، فهو تراث الانسانية جمعاء .

ودعاة هذه الحركة هم مأجورون ، يدسون السم في الدسم ، وهم — كما تفضلتم — يدرسون ويخططون ويصممون ، ويحسبون انهم يحسنون صنعا ، وانما هم يخبطون ويخلطون ، ويعلمون حق العلم ان عملهم باطل لا يجدي نفعا ، تجاه لغة لها حماتها ، ولها ركنها القويم الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم » .

وقد مر على اللغة العربية ادوار عصيبة ، كانت اشد سوءا مما يدعو اليه هؤلاء المأجورون ، ولكنها صمدت امام موجات التتر والمغول وغيرهم من الامم الاعجمية ، ثم ما لبثت ان طغت على لغتهم ، وحملت القوم على تعلمها وتذوقها ، واخذوا يتفاخرون بما ينتجونه في لغة القرآن ، وهكذا خرجت ظافرة منتصرة على كل الغزاة ، وصهرت لغاتهم ومعتقداتهم ، وجعلتهم عربا في اللغة مسلمين في الدين يتلون كتاب الله في عباداتهم ، ويتحادثون في لغته ويؤلفون بها مختلف الكتب ، ينظمون الشعر ويعانون الادب ، فكانوا حماتها وعلماءها وشعراءها .

هذه اللغة التي يفخر بالحفاظ عليها كل عالم يؤمن بوحدة الدين واللغة ، لا ان تكون شعوبا وقبائل ، تفرق بيننا رطانة العامية ، وتجعلنا لقما سائغة لكل طامع .

الم يعلم هؤلاء الدجالون المضللون : أن من اسباب نهضة العرب — قبيل الاسلام — هو القضاء على اللهجات العربية التي كانت في قبائل العرب ، وان لغة قريش كان لها الفضل في ذلك ، بأسواق الادب التي كانت تقام وتنشد الاشعار فيها بلغة قريش ، وفي الاجتماعات التي تكون في مواسم الحج والتجارة ، فان لغة قريش كانت اجمل اللغات العربية ، سادت وانتشرت بين القبائل فكانت لغة الجزيرة العربية : لغة الشعر والخطابة والمفاخرة والمنافرة ... الخ .

ثم نزل القرآن الكريم بها فكانت لغة الدين والعلم والادب ، وكانت وحدة شاملة جمعت العرب ووجهتهم الى ما فيه سعادة الدارين ، وانتشرت في اقطار الشرق والغرب .

وعلى هذا فان توحيد اللهجات العربية وذوبانها في لغة قريش كان من اقوى اسباب النهضة العربية الاسلامية . بها انزل القرآن الكريم ، وبها فصلت احكامه ، وبها دونت العلوم والفنون والمعارف ، فكانت لغة الدين والعلم .

وان عملاء الاستعمار ومن لف لفهم ، ينفخون في ابواق قد اعدها لهم غيرهم ، من اعداء العرب والاسلام ويأتون بأصوات منكرة بعيدة عن الحقيقة والواقع ، وهم يوهمون انفسهم بأنهم يوقعون انغاما شجية تهز العرب ، وتفرقهم شذر مذر ، وهذا ما لا يكون ، فالحق يعلو ولا يعلى عليه ، وللغة العربية اهل يعتزون بها ويحمونها ، ويركنون الى كتاب الله العزيز الذي كان ولم يزل السند القوي لها في كل العصور .

فاللغة العامية لا تصمد امام اللغة الفصحى ، خاصة كاللغة العربية الاصيلة التي قد تعهدها أهلها ، وحرصوا على تبسيطها ونشرها في اختلاف المجالات، وجعلوها لغة العلم والادب في المعاهد العلمية ، ولغة الصحافة والاذاعة ، فانها على مر الايام تقضي على الكثير من الاصطلاحات والكلمات الدخيلة التي تغلغلت فيها . وليس ببعيد أن نرى يوما ما اللهجات العامية

فى اختلاف البلاد العربية قد قربت من اللغة الفصحى، وتقاربت مع بعضها .

اذا رجعنا الى ما كانت عليه لهجاتنا العامية ـ قبل نصف قرن ـ وما كان فيها من رطانة والفاظ دخيلة من اختلاف اللغات الاعجمية ، مما يمجها الذوق، فكنا نتكلم بها ولا نعلم معناها ، ثم ما هي عليه اليوم لهجاتنا العامية من نبذ تلك الالفاظ الدخيلة والتعابير الاعجمية . ولو كلمنا احد اولادنا بما كنا نتكلم به قبل نصف قرن لاشكل عليه فهم كثير من التعابير والالفاظ التي كانت فى لغتنا العامية . وكان هذا التقارب بينها وبين الفصحى بنشر اللغة وتعليمها فى المعاهد المختلفة ، وتاثير الصحافة والاذاعة والتلفزيون وغير ذلك مما يذاع باللغة الفصحى .

فاللغة العربية كانت ولم تزل من اجمل اللغات واوسعها ، الم تكن لغة العلم والفلسفة والفن والادب فى الشرق والغرب ؟؟ الم يدرس بها علوم الفلسفة والطب والرياضيات فى جامعات اوربا ؟؟

فكيف تضيق اليوم عن التعبير بما عبرت عنه يوم كانت لغة العلم والدين والسياسة فى اكثر اقطار العالم .

فهل عجزت اللغة او قصرت فى ترجمة كتب الامم التي تقدمتها من مختلف العلوم والفنون ؟ الم تكن ادق تعبيرا عما فى غيرها من اللغات ؟ ولم يزل ما وضع فيها من الفاظ واصطلاحات لمختلف العلوم والفنون باقيا فى لغات الشرق والغرب ، يشهد بدقتها وسعتها ومطاوعتها للتعبير فى اختلاف العلوم وشؤون الحياة .

هذا قليل من كثير عما كانت ـ ولم تزل ـ عليه لغتنا « ام اللغات » من سعة وجمال ودقة وكمال ومطاوعة فى مفرداتها وتعابيرها ، وجمال فى كتابتها ، وهي صامدة امام كل عميل وداع الى الضلال .

قد احتضنت ابناءها العرب تحت راية القرآن ، وهم فخر معتزون بهذه الأم الحنون التي كانت ولم تزل من اهم اسباب جمع كلمة العرب وتوحيدهم والسير بهم فى سبل الحق والعلم والهداية .

البحث (العلمي)

روي ابن الانباري (طبقات الادباء ص 127) ان المأمون امر الفراء ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب وافرد له حجرة وصير له الوراقين والمنفقين لامداده ووكل به الجواري والخدم فصنف كتاب المعاني ثم خرج فأملاه على الناس .